اللغة AL-LOGHA

سلسلة أوراق في علم اللغة

"اللغة" مجلة محكمة غير دورية تصدر عن جماعة اللغويين فى القاهرة، تنشغل بقضايا لغوية ومسائل مرتبطة باللغة. وتقوم الدورية بنشر الأبحاث التى تقدم أثناء اجتماعات الجماعة فى مركز البحوث العربية وتقبل الدورية أيضاً أبحاثًا مستقلة باللغات الثلاث: العربية والإنجليزية والفرنسية.

للاستفسار: رجاء التوجه إلى جردا منصور أو مديحة دوس فى العنوان التالى:
مركز البحوث العربية والإفريقية.

تحرير: جردا منصور
مديحة دوس

هيئة التحرير:
أمل قارى – جامعة عين شمس
سهام القارح – جامعة الاسكندرية
السعيد بدوى – الجامعة الأمريكية
محمد حسن عبد العزيز – جامعة القاهرة
همفرى ديفيس – الجامعة الأمريكية
عماد عبد اللطيف – جامعة القاهرة

Seventh Issue - December 2008

اللغة
LANGUE LANGUAGE

SERIES OF PAPERS
IN LINGUISTICS

Editors:
Gerda Mansour
Madiha Doss

Cairo Linguists Group — Arab & African Research Center

اسم السلسلة : اللغة - العدد السابع

تحرير: جردا منصور ومديحة دوس

إعداد فني: مركز البحوث العربية والإفريقية

٥ ش حسن برادة - متفرع من ش قرة بن شريك - أمام مستشفى الرمد بالجيزة.

ت/ف: ٣٧٧٤٤٦٤٤ / ٣٥٧١٤٧٨٥

Email: info@aarcegypt.org

website: www.aarcegypt.org

تصميم الغلاف: حسام عبد الله

رقم الإيداع: ٢٠٠٩/٢٩٩٢

الترقيم الدولي: 977-6130-28-3

الطبعة الأولى

ديسمبر ٢٠٠٨

المحتويات

الموضوع		
* مقدمة	جردا منصور: ترجمة عماد عبد اللطيف	ص ٥
* المترجم أمام التعددية اللغوية العربية: ما العمل؟	فريدريك لاجرانج	٩
* الدراسات العربية حول الخطابة السياسية: عرض نقدي	عماد عبد اللطيف	٢٣
* تعاون أم إرشاد؟ البلاغة والإيديولوجيا في أشكال حديثة من الهداية الإسلامية في مصر	يعقوب هيجليت: ترجمة عماد عبد اللطيف	٥٣
* دلالة اللفظ في المعجم العربي –الإنجليزي: نموذج مدعم حاسوبيًا (باللغة الإنجليزية)	شريف عكاشة	p. 33
* الاكتساب الصوتي للعربية المصرية العامية لدى الأطفال المصريين الأسوياء من عمر ١٢ شهرا إلى ثلاثين شهرًا (باللغة الإنجليزية)	وفاء عمار وخالد رفعت	p. 9
* مقدمة (باللغة الإنجليزية)	جردا منصور ترجمة عماد عبد اللطيف	p. 5

المترجم أمام التعددية اللغوية العربية : ما العمل ؟

فريدريك لاجرانج

جامعة السوربون باريس ٤

The paper raises the issue of fidelity in translation in the context of the increasing use of colloquial in works by writers of modern Arabic fiction. Fidelity requires a match between language varieties in subject and target languages, a match which does not exist where Arabic colloquial and other languages are concerned. The writer distinguishes a number of distinct roles for colloquial, some consciously and others unconsciously deployed, with examples from Tawfiq al Hakim's short story *Al 'Awalim* (1927), Khayri Shalabi's novel *Salih Heesa* (2000), and Ahmed Alaidy's novel *An Takun 'Abbas al-'Abd* (2003), and notes that the translator of modern Arabic fiction needs to be not only familiar with the meanings of the colloquial words and structures used in the text but also capable of divining the author's purpose in using them. Certain uses cannot be transferred directly in translation and alternative strategies must be developed if the sense of the text is to be fully conveyed.

سمعت يوما اللغوي التونسي الدكتور عبد السلام المسدي يتساءل، بخصوص ترجمة الشعر، «ماذا نعني بالأمانة في الترجمة؟ هل نقصد الأمانة في نقل المعاني والدلالات أم نعني نقل نفس مستوى الفصاحة الذي يميز النص الأصلي؟».

المعاصرة على ثلاث روايات تشترك في طابعها الجدلي. يتكلم المؤلف — استنادا إلى ترجماته لقصة توفيق الحكيم القصيرة *العوالم* المنشورة في ١٩٢٧، ورواية خيري شلبي *صالح هيصة*، المنشورة في عام ٢٠٠٠، ورواية أحمد العايدي *أن تكون عباس العبد*، المنشورة في عام ٢٠٠٣- عن خبرته والتحديات التي واجهته أثناء الترجمة. ويبرهن على أن مترجم السرد العربي الحديث لا يحتاج فحسب إلى الألفة بمعاني المفردات والتراكيب العامية المستخدمة في النص، بل يحتاج كذلك إلى القدرة على الغوص في الأغراض التي يريد المؤلف تحقيقها من استخدام هذه المفردات والتراكيب.

جردا منصور وعماد عبد اللطيف

كان سؤاله وجيها ومبررا، غير أن نقل نفس مستوى الفصاحة يقتضي أن تكون معايير الفصاحة ومفهوم الفصاحة في حد ذاته متقاربة بين اللغتين. إحدى صعوبات ترجمة الأدب العربي المعاصر تكمن في تحديد مستوى فصاحة النصوص، خاصةً وأن عبارة «اللغة العربية الفصحى» أضحت مجرد مصطلح يدلّ على فصيلة من فصائل اللغة العربية أكثر منها نعتا لهذه اللغة واسم تفضيل يفترض التراتبية وأفضلية إحدى الفصيلتين على الأخرى؛ إذ لم يعد أحد يُنكر فصاحة الدارجة بل إمكانية صوغ فصاحة تعتمد على المزج بين الفصحى (اصطلاحيا) والعامية في النصوص الأدبية المعاصرة.

الملاحظات التي أقدمها اليوم تأتي من تجربتي كمترجم لأعمال روائية معاصرة تتميز كلها بلجوء الكاتب إلى اللغة العامية، وفقا لطرق مختلفة وأهداف متنوعة. قررت أن أعتمد على مجموعة محدودة من الأعمال لتقديم المشاكل التي تواجه المترجم حين يتعامل مع الازدواجية اللغوية العربية، وأريد أن أوضح هنا أن استعمالي لكلمة «مشاكل» لا يتضمن أي نوع من الحكم على العمل الأدبي، وربما كان من الأنسب أن أستخدم لفظ «تحديات»، وهي في الواقع تحديات شيقة. وبما أن المترجم – عمليا أن لم يكن نظريا– يضطر إلى تصنيف طرق التعامل مع العامية في الكتابة الأدبية، ما أسميه إن جاز التعبير «الممارسات اللغوية التعددية» ـــ وهي ميزة تبدو منوطة جوهريا بالحداثة في الأدب العربي المعاصر ـــ، فإن منظور المترجم يخدم ويغني في الواقع التحليل الأدبي من حيث معرفة مختلف الاستراتيجيات الأدبية التي تقود الكاتب إلى استخدام مجمل الطيف اللغوي الذي في متناوله.

لذلك ستكون هذه الملاحظات مجرد إرهاصات لبحث بدأته في موضوع

التعامل مع الازدواجية اللغوية في الأدب الروائي العربي المعاصر. ستكون معظم الأمثلة مأخوذة من ثلاثة مصادر مصرية تمثل اتجاهات مختلفة في عكسها للتعددية اللغوية، وإن كان القاسم المشترك بينها الحضور الكثيف للعامية، إما في الحوار أو في الحوار والسرد على حد سواء.

أقدَم هذه المصادر قصة قصيرة لتوفيق الحكيم، بعنوان «العوالم»، ألفها سنة ١٩٢٧، تمثل تيارا سائدا في بداية القرن الماضي : وصف فئة شعبية معينة ذات خصائص لغوية (سيم العوالم)، يستحيل أو يستعصي نسخ كلامها باللغة الفصحى علما بأن المشروع الأدبي كله متوقف على سبر أغوار هذه الفئة وإدخال القارئ «وراء الستار». ويصاحب هذا المنهج فصل صارم بين لغة الحوار ولغة السرد الرفيعة المستوى بل المتكلفة في بعض الأحيان، بغية إقامة بُعد ساخر، وإن كانت سخرية مشوبة بالحنان، بين السارد المتمكن من كل الطيف اللغوي، والشخصيات المحصورة في لون واحد من هذا الطيف. أما العملان الآخران، فرواية للكاتب المصري المعاصر خيري شلبي، بعنوان «صالح هيصة»، صدرت سنة ٢٠٠٠، تشبه القصة القصيرة السابقة من حيث التركيز على فئة مهمشة ذات لغة خاصة، وهي فئة مرتادي الغُرَز في قاهرة السبعينات (حتى وإن مثلت هذه الفئة المهمشة ٩٠٪ من الشعب القاهري في هذه الفترة حسب ما يزعم الكاتب وهو المسئول الوحيد عن هذا الادعاء) غير أن الوضع مختلف لثلاثة أسباب: أولاً تمكّن كل الشخصيات من طيف لغوي أوسع بكثير من طيف عوالم الحكيم، لكونهم مثقفين أو مشاريع مثقفين؛ وثانيا لكون الراوي متضمنا في السرد المتبع صيغة المتكلم، مما يجعله شريكا وعضوا في المجموعة التي يصفها وبالتالي يجبره على تقاسم لغتها؛ وثالثا لأن العامية تدخل السرد وليس فقط الحوار، على الصعيد المعجمي في معظم الأحيان، وأحيانا قليلة على صعيد الأبنية.

أما المصدر الثالث، فهو رواية «أن تكون عباس العبد» لأحمد العايدي، الصادرة سنة ٢٠٠٣، والتي أثارت شيئا من الضجة، والتي تتميز بطيف لغوي موسّع للغاية يضم لغة الصحافة وفصحى العصر وعامية الشباب القاهري، ولغة الـ SMS، إضافة إلى ألفاظ إنجليزية، الأمر الذي يتطلب من المترجم مجهودا كبيرا للبحث عن المعنى الدقيق والمدلولات الحافة لكمية كبيرة من الألفاظ التي لا ترد في المعاجم العامية المعروفة كقاموس السعيد بدوي ومارتن هندز ولا حتى في «قاموس الروشنة» الذي يمكن مطالعته على الإنترنت.

❋❋❋

مترجم الرواية العربية إلى لغات كالفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية يعرف في لغته الأم ظواهر تنوّع لغوي وتفاوتا في المستويات، من حيث المكان والزمان والطبقات الاجتماعية وظروف الخطاب. غير أن التعددية اللغوية التي تميز العربية والتي أصبحت تنعكس على الكتابة الأدبية منذ أوائل القرن العشرين، لا يمكن أن تُقارن بما يجده المترجم الأجنبي في لغته. فبين فرنسية كندا وفرنسية بلجيكا اختلافات، وبين حديث العمال وحديث المثقفين فوارق لا تُنكر، وبين فرنسية موليير وفرنسية الرواية المعاصرة تطور لا يفوت المراقب. غير أن عبارة بسيطة من قبيل :

الآن أعمل ولا أستطيع أن أتكلم معك

تقال دائما، في كل مكان وعند كل الفئات

Maintenant je travaille, je ne peux pas parler avec toi

Now I'm working, I can't talk to you

بينما نفس المعنى يُعبر عنه بطريقة مختلفة تماما عن الفصحى في كل

العاميات العربية، وكلها مختلفة عن بعض، من «دابة كنخدم ما نقدرش نهدر معاك» في المغرب و«دلوقتي أنا شغال ماقدرش أكلمك» في مصر و«هلّق عم بشتغل ما فيني إحكيك» في لبنان، إلى غير ذلك. فالمترجم، إن وجد في لغته مرادفا للعب على المستويات اللغوية، هذا اللعب المتعلق جوهريا بالكتابة الروائية، فإنه لن يجد ما يعادل في لغته لعباً آخر يتفنن فيه الروائي العربي، وهو اللعب على «الفصائل اللغوية»[1]، الذي يعطي الأدب المعاصر رونقه وطعمه الخاص للقارئ العربي. وحتى إن وُجد في لغته تنوعٌ لغوي شديد، كما هو الحال في إيطاليا مثلا، الأرجح أنه لن يلجأ إلى ترجمة العامية العربية إلى «عامية» أجنبية [dialecte] لسبب بسيط: أيها يختار؟ هل يترجم العامية القاهرية إلى العامية الصقلية والتونسية إلى البيمونتية وعلى أي أساس؟ هذا الخيار مستحيل لكون كل عامية مرتبطة بوسط معين وثقافة معينة، بخلاف اللغات الرسمية الهادفة إلى الكونية. وإن تحدث القاهري كالصقلي تحول إليه، وصارت الترجمة اقتباسا وأقلمة.

والعكس صحيح، إذ لا يفكر المترجم من لغة أجنبية إلى العربية في أن يعبر عن وجود مستويات لغوية متفاوتة في نص أجنبي باللجوء إلى إحدى العاميات العربية، ومهما غطت شفاهنا ابتسامة ساخرة حين نكتشف أن أفظ العبارات الإنجليزية تُترجم دائما بكلمة «هراء» في الأفلام، فإنه عُرفٌ قديم يعود إلى عصر أقلمة الأجناس الأدبية الدخيلة في الثقافة العربية أواخر القرن التاسع عشر، فالعامية استعملت في المسرحيات الممصرة والفصحى للترجمات، وحتى في رواية حوارها كله بالعامية كـ«عودة الروح» لتوفيق الحكيم، فإن الحديث

1 variété de langue # niveau de langue
ولا بد من التأكيد على أني لا أعتبر العامية والفصحى لغتين مختلفتين بل فصيلتين ضمن لغة واحدة، في كل فصيلة مستويات متفاوتة. وبين الفصيلتين تداخلات مستمرة .

المشهور الدائر بين «مستر بلاك» الإنجليزي وعالم الآثار الفرنسي يتم بالفصحى، إذ أن في الفصحى حيادية لها قيمة كونية تؤهلها لترجمة حوار يدور في لغة أجنبية فتعريب الحديث لا يعني تعريب الشخصيات، بينما تمصير حديثهما كان ليعني تمصيرهما كذلك.

فالمعاملة مع التعددية اللغوية العربية المنعكسة في الرواية المعاصرة تتطلب من المترجم ليس فقط معرفة العامية والإلمام بالألفاظ والبنى الواردة في النص الذي يترجمه، بل تتطلب كذلك معرفة هدف الكاتب من استعمال العامية، وقدرة على تفصيل وتصنيف وترتيب كل أنواع الممارسات التعددية، لتمييز الأعراف الحديثة التي تصوغها الرواية، وتحديد ما أُريد منها على الصعيد الأدبي، من أجل التوصل إلى حلول تبقى دائما، مع ذلك، مقاربات متعثرة.

❋❋❋

لم تولد الرواية العربية واقعية، ولكنها وجدت مشروعيتها في الحقل الأدبي العربي حين صارت واقعية، في أوائل القرن العشرين، وحين أخذت تحاكي الواقع بغية إصلاحه والتأثير عليه. وبالتالي، أصبحت لغة الواقع شغلها الشاغل، إذ كيف يمكن محاكاة الواقع إن كانت الشخصيات الروائية، التي يُفترض أنها تمثّل هذا الواقع، تتحدث بغير لغته؟ ومن ناحية أخرى، هل يُعقل أن يستخدم الكاتب، عن طريق السارد، لغةً تختلف عن لغة الشخصيات التي أبدعها، الأمر الذي يجعله متفوقا عليها جميعا، بسبب استعماله الفصيلة اللغوية الأرفع مرتبةً، وهو في نفس الوقت يدّعي انتماءه إلى المجموعة الإنسانية التي يصفها؟ وأخيرا، كيف يحقق الروائي الكونية التي يتوق إليها إن ظل خطابه أو إن ظلت أجزاء من خطابه مصاغة في لغة مغرقة في المحلية، لا يمكن أن يدرك دقائقها إلا من ينتمي

أصلا إلى المجموعة التي يصفها ؟

تخبطت الرواية العربية بين شتى هذه المعضلات وشق كل كاتب طريقه الخاص. مرّ قرن منذ ولادة الرواية العربية، والممارسات الأدبية ما زالت متعددة في التعامل مع ما اصطلح عليه «الازدواجية اللغوية» التي تميز حالة اللغة العربية، وإن فضّل معظم اللغويين المعاصرين استعمال مفاهيم مثل «التعددية اللغوية» أو «الطيف اللغوي» الذي يمتد بين قطبي الفصحى والعامية، سواء أأمكن تمييز محطات ثابتة بين هذين القطبين تكون قابلة للوصف النحوي والمُعجمي أم استحال وصف هذه المحطات بمثل هذا الثبات، باعتبار أنها وليدة ظروف خطابية خاصة، متغيرة ومتقلبة. الروائي المعاصر يبحث عن توازنه الخاص بين قوى متضاربة، منها التي تعتمد على الاعتزاز بالهوية المحلية وإرادة تأكيد تجذره وانغرازه في التراب الوطني، وكذلك ضرورة انعكاس المزايا الخاصة لخطاب شخصياته الخيالية في لغتهم، من أجل إيصال دلالات لا توفي بها إلا العامية، ومن أجل إرساء مصداقيتها؛ ومنها قوى أخرى تعتمد على مفهومه لمكانة الأديب في المجتمع وعلاقته بالتراث وشعوره بالانتماء إلى ثقافة أوسع من حدود وطنه وكذلك الانصياع للأعراف الأدبية، فأين الإبداع إن لم يرتكز على استيعاب تام لأعراف متوارثة؟

الأعراف المحلية

يجب أولا فصل الأعراف المحلية عن الاستخدام الواعي والإرادي للعامية على الصعيد المعجمي البحت. البطل المصري قد يمشي على كوبري ويصعد سلما، بينما يعبر البطل اللبناني جسرا ويترل درجا؛ البطلة التونسية تشرب كأسا من الماء وإذا ناولته بطلة مصرية سيتحول كأسها كوباً، إذ أن الكأس للخمور في

العرف المصري. نستطيع أن ندرج في نفس السياق الاستعمالات غير الواعية لألفاظ عامية لا ترد في المعاجم الرسمية غير أن الكاتب لا يراها خارج إطار الفصحى ويستخدمها دون تحفظ (كفعل «فلش» بمعنى «بعثر» في روايات لبنانية). وكذلك قد تؤدي الكفاءة العامية للمترجم إلى أن يسيء فهم ما أراده الكاتب ويرتكب أخطاءا مضحكة ناتجة عن إسقاط معنى محلي في غير موضعه، كما في ترجمتي لرواية لبنانية حيث وصفت الكاتبة شخصا يرتدي قميصا لبنيا، فترجمتُ بالفرنسية «أزرق فاتح» وآخر قميصا زهريا، ففهمتُ «أزرق فاقع»، الأمر الذي أثار دهشة الكاتبة حين مراجعتها الترجمة قبل نشرها إذ كانت تقصد «أبيض مائل إلى البيج» و«وردي».

المعجم الذي ليس له مترادفات فصيحة

قد يكون المترجم أكثر قراء الأدب المعاصر إدراكا أن استعمال العامية، ما عدا ما سبق أن أشرنا إليه، لا يأتي جزافا ولا تسهيلا ولا سهوا ولا جهلا للفصحى ولا قصر ذيل (وهو مثالٌ إنجازي [performatif])، بل يأتي في سياق استراتيجية معينة لا يهتم بها القارئ ولكن يجب على المترجم فكها.

نظرا لارتباط الرواية بالواقع المعيش، يذكر الكاتب حِرَفا، وفئات، وعادات وتقاليد، وممارسات، أو مجرد أشياء لا مرادف لها في المعجم الفصيح، أو مرادفات بعيدة، إلى حد إفقاد المدلول خاصيته إذا استعملت. فقصة توفيق الحكيم التي أشرت إليها تتحدث عن «عوالم» وليس عن «قيان» أو حتى «مطربات»، و«الحاج أحمد المطيب» الذي يرافقهن إلى محطة مصر ليس «متعهدا فنيا» بل مطيب. في هذه الحالات، يتردد المترجم بين إيجاد لفظة مقاربة في لغته، وبين

الإبقاء على اللفظة العربية، شارحا إياها في الهوامش.

وأحيانا يموّه الكاتب العبارات العامية ويلبسها زيا فصيحا لا يغر القارئ: فنجد عند نجيب محفوظ أمثلة عديدة لهذه العامية المستورة أو المموهة، من باب «فهم الفولة» أو «لعب الفأر في عبّي» إلخ، وفي معظم الحالات لا تزعج المترجم هذه النتوءات الدارجة لوجود مرادفات لها في لغته، علما أن الخطر يكمن في عدم إدراك القيمة الدارجة الكامنة في عبارة قد تبدو شكليا فصيحة للغاية غير أنها لا تعني شيئا في السياق التي وردت فيه، مما يجعل المترجم يشعر بالفأر يلعب في عبه...

اللجوء إلى المعجم العامي لافتقار المعجم الفصيح إلى المدلول المراد قد يتم في السرد وليس فقط في الحوار. حين وقوعه في السرد، يجب على المترجم، لإيجاد الكلمة المناسبة، أن يتساءل أأتى هذا الاختيار لفراغ في المعجم الفصيح، أم لكون اللفظة العامية تضيف إلى المدلول المجرد مدلولات حافّة تضفي عليه طعما خاصا.

على سبيل المثال، حين نقرأ عند خيري شلبي:

«أنت تطيل الوقفة مرغما لتفكر في مخرج من هذه الورطة. ينصحك المجربون من أمثالنا بأنك -خل بالك يعني- كلما أطلت الوقوف ازداد تورطك؛ لأنه في الحال سيعزم عليك بسيجارة محشوّة».

يخاطب الراوي قارءه، مما يؤهله لتقريب فصحاه من العامية، كمثلا حين يحذره بلطافة قائلا «خل بالك»، وإن حرص على كتابة خلّ باللام المكسورة وليس بالياء. أما اختياره «يعزم عليك» بدلا من «يدعوك» الفصيحة، فإنه يستوقف المترجم. هل من فارق طفيف لكن مهم بين «يدعوك» و«يعزم عليك»

يجب عكسه في الترجمة؟ أم هل عبارة «خل بالك» المائلة إلى اللغة المحكية كانت نقطة انطلاق لانجراف متواصل إلى اللغة الوسطى؟ في هذه الحالة، إجابتي هي أن «يعزمك» ليس كـ«يعزم عليك»، إذ في «يعزم عليك» فكرة الإلحاح. ولكن المترجم هو أيضا محاسب أو قباني، يزن بدقة ما يكلفه إضافة هذا التفصيل الصغير من حيث سلاسة الجملة، وقد يقرر عدم أخذه بعين الاعتبار مما يفقد شيئا من الطعم الأصلي بدعوى الإبقاء على الإيقاع العام... وبما أن الكتابة الروائية المعاصرة أخذت منذ الخمسينيات وخاصة منذ يوسف إدريس، تمزج العامية في السرد من حيث المعجم وأحيانا من حيث البنى، لرأب الصدع أو التقليل من الفجوة الفاصلة بين الراوي وشخوصه حين يتكلمون لغتين مختلفتين، فإن المترجم يجد نفسه دائما مضطرا إلى محاولة تخمين نية الكاتب في استعماله للمعجم العامي: ألقول ما لا يمكن قوله بالفصحى فبالتالي يقع على عاتق المترجم أن يعبر بأمانة عن المدلول الكامل، أم لإقامة شيء من الحميمية مع قارئه باختيار معجم يراه أقرب إلى وجدانه فبالتالي أسرع نفوذا إلى قلبه، علما بأن هذه الحميمية المعتمدة على قيم ومراجع مشتركة يصعب إيجادها مع القارئ الأجنبي.

ومهما نجحت الترجمة في إيجاد العبارة المناسبة لنقل المعاني، يبقى أن ما في التوفيق بين الفصحى والعامية من حذق وإبداع فني يستعصي على الترجمة؛ فمثلا، حين يكتب شلبي أن أحد شخصياته «كان يقعد منجعصا على كرسيه»، فإن الطرافة للقارئ المصري أو العربي المتمكن من المصرية، تكمن في هذا القِران الغريب والشيق في آن واحد ما بين فعل شديد العامية، وصيغة الحال التي تفرض نصب اسم الفاعل، وكأن التنوين، كأن هاتين الفتحتين في آخر الكلمة قبّعة مضحكة، طرطور ساخر يضعه الكاتب على رأس كلمته وهو يغمز لنا غمزة الولد الشقي (بالمعنى العامي للشقاوة...). أما هذه الطرافة بالذات، التي هي في

قلب اللعب على التعددية اللغوية، فضائعة لا محالة عند الترجمة.

المستويات اللغوية داخل العامية

سبق أن ميزنا بين الفصائل اللغوية والمستويات اللغوية. أكبر صعوبة تواجه المترجم ليست كما قد يتخيل المرء ترجمة الألفاظ الخاصة لطبقة اجتماعية معينة أو التي تشي بمستوى المتحدث، بل هي تلك العبارات التي لا تتميز بأي دلالة خاصة تميزها عن الفصحى، والتي يمكن استبدالها بعبارة فصيحة دون فقدان يذكر للمعنى، ففي هذه الحالة تكون الشحنة الدلالية العامية عائدة إلى نفسها. بعبارة أخرى، لا معنى خاصا لها إلا كونُها عامية. فسواء أتت في الحوار أو في السرد، على لسان الراوي في حالة استعماله صيغة المتكلم، فيستحيل عكس هذه الصبغة العامية في اللغة –الهدف. مثلا، في رواية اللبناني رشيد الضعيف «ناحية البراءة»، حين يختم السارد المختطف فقرة كاملة باللغة الفصحى بسؤال بلاغي يطرحه على قارئه المفترض «مش هيك؟»، فلا يمكن للمترجم أن يذيق القارئ الأجنبي الفارق بين «مش هيك» و»أليس كذلك» ولا يستطيع أن يذيقه ما يعني هذا الاختيار في مسار النص من إشارة إلى انفلات أعصاب البطل المخطوف، الفاقد تدريجيا سيطرته حتى على مستواه اللغوي.

ما هو أسهل نسبيا للمترجم، هو عكس ما في داخل الفصيلة العامية من تعددية ومن مستويات متفاوتة. فإن العامية نفسها تمتد على مدى طيف واسع وتنقسم إلى مستويات تتصف بمعجم وبنى خاصة بها. فمثلا في ميدان أسماء الإشارة، ليس «ده» المحايد كـ«دوت»، ولا «دول» كـ«دولم» أو «دوكهمّت». وفي رواية أحمد العايدي، ليست «صحبتي» كـ«الحتّة بتاعتي»، وعلى صعيد المترادفات أو شبه المترادفات المشتقة من جذر ثلاثي واحد، ليس

«حاجي لك متأخر شوية» كـ«حاجي لك وخري شوية» القديمة أو الفلاحية، وعلى صعيد الفونولوچيا، ليس بقى كبجا، وليس على صعيد نظام نفي الجملة الفعلية «أنا ما باحبش الكوسة» كـ«أنا مش باحب الكوسة» المتفشية حاليا والتي قد تخبر عن سن المتحدث، وهلمّ جرا.

فإن لم يكن وجود مستويات لغوية مختلفة في اللغة-الهدف كافيا لعكس ظاهرة الازدواجية اللغوية العربية، فقد يكون كفيلا في بعض الأحيان لعكس اللعب على المستويات ضمن العامية. غير أن محنة المترجم تبقى صعبة. على سبيل المثال، تحفل الصفحة الأولى من قصة توفيق الحكيم بعبارات لم تعد قيد الاستعمال، أو تشي عن مستوى المتحدث دون أن يوجد في اللغة-الهدف دالان لمدلول واحد. مثلا، حين يقول الحاج أحمد المطيب لعوالمه عند محطة مصر إذ أنهن يذهبن لإحياء فرح في الإسكندرية: «أديني بلا قافية رستأتكم في ركن معتبر»، علما بأن عبارة «بلا قافية» لم تعد تسمع، يضطر المترجم الفرنسي إلى تذكر التعابير الذي سمعها في أفلام الأربعينات لكي يوحي بهذا المعجم المتقادم. أما عندما يقول الحاج: «حتلاقوا حد من طرف بيت الفرح مستنظركم على المحطة»، فلا يوجد في الفرنسية ما يوحي بالفارق بين «منتظر» و«مستنظر»، وإن كان هناك أفعال غير attendre (انتظر)، فلا تليق هنا بالسياق. فقد يلجأ المترجم في هذه الحالة إلى «تأخير المؤشر»، بمعنى أنه يمكنه أن يورد صيغة ذات نكهة شعبية لترجمة كلمة عربية محايدة في الجملة التالية، يمكن أن يؤخر ظهور المؤشر المعجمي على طبقة المتحدث.

أما البحث عن المستوى المناسب في اللغة-الهدف فيتطلب أيضا الإلمام بخفايا الأمور اللغوية وآخر المستجدات على ساحة لغة الشباب: فحين نظّم

مكتب الترجمة التابع للمركز الثقافي الفرنسي ورشة ترجمة أدبية كنت أديرها السنة الماضية، كنت قد اقترحت مقتطف من رواية أحمد العايدي «أن تكون عباس العبد» فوجئت بأن فريق المترجمين الفرنسيين الشباب كانوا ينظرون ببعض الاستغراب وتعالي الشباب العالم بالموضة إلى اقتراحاتي لترجمة حديث شباب القاهرة المليء بالاختراعات، وكانوا يأتون بما لم يكن ليخطر على بالي لقرب سنهم من سنّ شخصيات الكاتب (والكاتب نفسه). ومع ذلك، فإن التجديد المتمثل في إدخال الألفاظ الأجنبية إلى جانب العربية، والمزج بين الحروف العربية واللاتينية، أو كتابة الإنجليزية بالحروف العربية بما يسبب من اعوجاج مضحك للنطق، فكل هذا لا يمكن نقله بأمانة إلى لغة أخرى.

فنجد أنفسنا أمام مفارقة: كلما تحرر الأدب العربي المعاصر من قيود متوارثة وصاغ لغته الخاصة التي تعزف ببراعة على كل أوتار الطيف اللغوي واندمج في تيار الأدب العالمي المعاصر الداعي إلى توسيع التعددية اللغوية، وانعكاسها في الكتابة الأدبية، كلما صعب نقل هذه البراعة إلى لغات لا تعرف هذه الازدواجية وضاع كثير مما يؤسس حداثتها.